Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ونظائرهما من المدائح النبوية تُنْشد فى حلقات الذكر وحفلات الموالد والأعياد للحثّ على جهاد الصيليبيين والمغول والذود عن ديار مصر والشام، مما جعل جماعات من الناس تطوف بها فى بلاد القطرين تغنيها على الطبل والمزمار، وبذلك أخذت صورة شعبية واسعة.

ويظن كثيرون أن النثر جمد فى هذا العصر جمودًا شديدا لما ساد فى بعض جوانبه من تكلفٍ فى تحرير معانيه ومن سجع مثقل بأصداف البديع وخاصّة فى الرسائل الديوانية، وقد مرّت بنا آنفًا شهادة صلاح الدين للقاضى الفاضل فيما أنشأ من هذه الرسائل، وهى تشهد بأن السجع والبديع وما رافقهما من معان متكلفة أحيانًا، كل ذلك لم يحل بين كتّاب الدواوين وبين التعبير عن واقع الحياة السياسية تعبيرًا كانوا فيه ألسنة ناطقة عن أهل مصر والشام وعن أهوائهم السياسية ومطامحهم الحربية. على أن العلماء نَحَّوْا هذا الأسلوب وما كان يجرى فيه من تنميق وتصنّع عن مصنفاتهم العلمية، ونحّاه المؤرخون عن كتاباتهم التاريخية، مستخدمين جميعًا أساليب طبيعية تشف عن معانيها فى وضوح.

وظهر حينئذ أدباء شعبيون مختلفون عنوا بمخاطبة الجماهير الشعبية، فألفوا لها قَصصًا كثيرًا للترويح والتسلية وقَصَصا آخر لتمجيد البطولة لعل خير ما يمثله قصة الظاهر بيبرس. وقد أضافوا إلى كتاب ألف ليلة وليلة بعض القصص الطريفة ولم يكتفوا بذلك فقد صاغوا القصص فى الكتاب كله صياغته النهائية التى أتاحت له الذيوع والانتشار لا فى البيئات العربية وحدها، بل أيضا فى البيئات الغربية. وفنّ آخر عُنى به هؤلاء الأدباء الشعبيون هو فن التمثيل، وكانوا يتخذون له مسرحًا متنقلا سموه «خيال الظل» كان يقام فى الهواء الطلق، ويتجمع أفراد الشعب للفرجة على ما يمثّل عليه من مسرحيات قصيرة وطويلة، ومن طريف ما كان يمثّل عليه فى القاهرة لعهد الظاهر بيبرس مسرحيات ابن دانيال الهزلية التى صوّر فيها المجتمع القاهرى ومفارقاته لعصره وأوامر السلطان الظاهر تصويرًا نقديا فكهًا بديعًا وأشهرها مسرحية «طيف الخيال» التى اتخذ موضوعًا لها «الخاطبة» فى عصره وتزييفها لحقيقة الزوجين، مزاوجًا